العصر الذي تشابكت فيه حياة الدول ، ان تحل اية امة مشاكلها بالاستقلال عن الامم الاخرى ، ودون تبادل في المصالح والمنافع .

على ان لهذا التبادل شروطاً إذا لم تحقق ، لم يأتِ بالفائدة المطلوبة ، بل انقلب شراً ومضرة . من هذه الشروط ان لا يكون قائماً على العاطفة و« الصداقة التقليدية » و« المحالفة الطبيعية » ، فهذه كلها لا تعدو في اكثر الاحيان أن تكون أشراكاً واحابيل لاخفاء الاطماع وتغطية الاستغلال والاستثمار . والاساس الوحيد لهذا التبادل في دنيا المعاملات الدولية الحاضرة هو المصلحة ، والمصلحة لا غير . ولذا كان من شروطه ايضاً أن يُقبض ثمن كل تنازل عن مصلحة بتأمين مصلحة مقابلة . فلا نحالف مثلاً الدول الدمقراطية على الشيوعية ، ونضطهد الاحزاب اليسارية في بلادنا ، لوجه الله وجرياً مع الصداقة ، او لمجرد التخاذل . وكذلك يجب أن يستهدف هذا التبادل مصلحة الامة بكاملها ، لا مصلحة فرد أو افراد أو طبقة منها . فلا يكون هؤلاء حلفاء – واعين أو غير واعين – للغير على عامة الشعب . واخيراً يجب ان تنظم مصالح الامة في مراتب بحسب خطورتها ، فيضحّى بالقليل في سبيل الكثير ، وبالزائل من اجل الباقي .

ولا مراء في ان مصلحة العرب الاولى في هذا الطور من تاريخهم هي في حفظ كيانهم من الخطر الصهيوني . وعلى